

خمرة العرفان

صوتٌ يصرخ في برية التشكيك والنسبية، والتهريج والعبثية أن مهدوا الطريق
لفلسفة العقل الغائبة وحقائقه الكلية السرمدية.

صوتٌ يدوي في ساحات النفس، ويتجاوب صدها في أقاصي الوعي، ومدى
اللاوعي. أن لملموا فتات أضغاث أحلامكم، وأوهام ظنونكم، ورشوا ورود قوانين
المنطق، وانثروا عبق أريج نواميس العقل الكلي. فالسيد آتٍ على صهوة فرس
المعارف اليقينية، بأفكار نورانية ألق حروفها يضيء ولا يحرق، ووهج ابتسامات
كلماتها يبدد ظلمة الكثيف في أدمغة أجسادنا، ليجعلها هياكل من نور مجمد، في
داخلها أنوار المعرفة العرفانية وفي خارجها أنوار ذلك العدل المعتدل. فلا هي
تصنمت في طقوس الشكل الظاهر، ولا هي تاهت في صحاري أوهام الباطن. إنها
تلك الزيتونة المباركة، التي هي لا شرقية ولا غربية، وإذا مستها قوانين العقل
الأعلى أضاءت. حتى كأنّ النور ينبعث من داخلها، فالجزء قد ذاب في الكل، والكل
قد تجلى في الجزء. والجسد المحسوس المركب قد انجذب الى النفس الروحانية
البسيطة كما ينجذب الحديد الى المغنطيس. وكما الحديد يتمغنط فيكتسب طبيعة
المغنطيس، كذلك تروحن الجسد المركب الفاني فغدا روحانياً بسيطاً خالداً طالما هو
حائزٌ على شرف الرفقة. وأيقنت النفس العاقلة أنها لا تستطيع أن تكتسب علمها
وعملها إلا من خلال جوارح الجسد. وأنّ علاقتها به جوهرية لا عرضية، مستمرة
لا متقطعة، فالبسيط الروحاني عليه أن يتأطر بالمركب الفاني، فيكون داخله فيه
خارجاً منه، يلعب معه لعبة المطلق في المحدود، والمجرد في المحسوس، والكلي
في الجزئي، والفاعل في المنفعل. في جدلية تقررٍ وتعترف أن كل الموجودات
مزدوجة تمثل مسرحية وحدة وصراع الأضداد. ويبقى وجه ربك الأكرم، واحداً
ليس من عدد، أحداً ليس كمثله شيءٌ، لا تحيط به الأفهام والعقول، ولا تدركه
الأوهام والظنون. موجوداً تستأنس به عقولنا، ومنزهاً لا تحده أفكارنا، نرتشف بغم
بصائرنا كأساً من خمرة عرفان فيذوب العبد بالمعبود، والشاهد بالمشهود. ويلتقي
جدل الانسان الصاعد من المركب المحسوس الى البسيط المجرد بجدل الألوهة
الهابط من البسيط المجرد الى المركب المحسوس. ويغدو الجدل واحداً في صعوده

وهبوطه. فالألف في البداية هو نفسه الألف في النهاية. لأن هيولى الوجود تمظهرت عندما تحركت نقطة بيكار العقل الكلي فصنعت النقاط والدوائر والأكوار والأدوار. فالواحد انتشى بخمر رضاب شفتي الأحديّة، وفي ثورة جمال الكمال انفجر بركان الأحديّة حمم نفوس عاقلة انعكس على مرايا جواهرها أنوار التأييد الفائضة من شعشعانية جمال التجريد. وردد الأحد في تراتيل عشق جلال جمالية، وما خلقت الخلق إلا ليعرفوني. فأصبحت المعرفة هي روح قدس التأييد بين المتأله والمتأنسن، بين الخالق والمخلوق. وأصبحت النفس مسافرةً دائمةً في بحر المعرفة اللامتناهي يحدها شوق الفرع الى الأصل، شوق الفراش الى الربيع، شوق الصحارى الى ماء السماء.. واضطرب الجسد تولهاً بذلك المعشوق فركض لاهتاً بنفسه الحالة فيه وهي تسابقه الى مطلق الأنوار الشعشعانية وكلما تعب الجسد وكبا استبدل بجسد آخر مهيء للركض والطراد. لا السباق يتوقف، ولا المحجة تظهر فالحركة جوهرها هذا الوجود، أليس سكون العدم مفقوداً؟ فهي حركة الناقص باتجاه تمام نوعه حركة الجزئي المستفيد باتجاه الكلي المفيد حركة كثيف الظنون باتجاه لطيف اليقين. وهيولى الفوضى باتجاه النظام والتنظيم